

خصوصية مسرح الطفل العربي

- نحو طفولة واعية -

The privacy of the Arab child theater

- Towards a conscious child hood-

نور الدين حديد^{1*}، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة- جامعة باتنة1، جامعة محمد لمين دباغين - سطيف2
haddid1985@gmail.com, <https://orcid.org/0009-0006-5591-5138>

2024-12-25	تاريخ القبول	2024-11-14	تاريخ الاستلام
------------	--------------	------------	----------------

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى استيضاح خصوصية مسرح الطفل العربي، من خلال الوقوف على منسوب الوعي في حياة الطفل العربي، باعتبارها مرحلة مفصلية ودقيقة، ففيها تتشكل المواهب وتنمو الملكات ويتم بناء شخصيته، وذلك بالاعتماد على مقارنة قديمة تشمل التنشئة الاجتماعية والتربية وشحن المواهب وتنمية المدارك، بهدف بلورة الوعي والقدرات العقلية والإحساس بالمسؤولية الاجتماعية لدى الطفل العربي، وتحقيق نوع من الخصوصية التي ينفرد بها هذا النوع من المسرح، وإبراز مختلف إمكانياته ومقدراته في الإنتاج والإبداع، وقد تناولت دراستنا إشكالية محورية تتمثل في: تحديد مصطلح خصوصية مسرح الطفل العربي؟ والدور الذي يضطلع هذا المسرح في بناء شخصية الطفل ووعيه؟ وهل حقق مسرح أهدافه في تنمية الوعي والقدرات العقلية، وما آفاقه المستقبلية؟

الكلمات المفتاحية: خصوصية؛ مسرح؛ طفل عربي؛ وعي؛ تنشئة اجتماعية.

Abstract

This study seeks to clarify the specificity of Arab children's theater, by examining the level of awareness in the life of the Arab child, as a pivotal and delicate stage, in which talents are formed, abilities grow, and his personality is built, by relying on a sound approach that includes social upbringing, education, honing talents, and developing perceptions, with the aim of crystallizing awareness, mental abilities, and a sense of social responsibility in the Arab child, and achieving a kind of specificity that distinguishes this type of theater, and highlighting its various capabilities and capacities in production and creativity. Our study addressed a central problem represented in: defining the term specificity of Arab children's theater? And the role that this theater plays in building the child's personality and awareness? Has the theater achieved its goals in developing awareness and mental abilities, and what are its future prospects?

Keywords: Specificity, theatre, Arab child, consciousness, social guidance.

* المؤلف المراسل

احتل فن المسرح مكانة مرموقة بين الفنون الأخرى، وعرفته الحضارات القديمة كمسرح للأطفال ولكن بشكل محدود، ذلك أنه اعتمد على مسرح الدُمي وخيال الظل، وفي العصر الحديث أخذ مسرح الأطفال طابعا جديدا ولم يعد لمجرد التسلية والترفيه، بل أصبح وسيلة فعالة للتعليم والتثقيف، فمسرح الطفل واحد من أهم الفنون التي تسهم في تنشئة الأطفال وتغذيتهم جماليا وفكريا وعاطفيا، لاسيما في القرن العشرين الذي شهد العالم فيه تطورا في مختلف الفنون والمعارف وخطى خطوات واسعة في الفن المسرحي الذي ربطه بالعلوم التربوية والتعليمية؛ إذ هو المدخل العلمي المعاصر في واقع العرض المسرحي، وهو ما في مُمكنه أن يطور العرض المسرحي المقدم للأطفال لتحقيق الرؤية الجمالية والفكرية والترفيهية، وسيكون تأثيره على وعي الطفل وثقافته وبناء شخصيته نفسيا ووجدانيا ومعرفيا، وتنمي قدراته التخيلية وتلبي حاجاته النفسية والاجتماعية، ويكتشف من خلال هذه المسرحيات ومن خلال ما يُعرض أمامه، قصد خلق جيل واعٍ يحافظ على هويته وقوميته وحضارته.

إن كل نشاط فني يعكس الوعي والواقع الذي يعيشه الطفل؛ فالفن الذي يجب أن يقدمه مسرح الطفل لتنمية الذوق الجمالي والفكري لدى المتلقين الأطفال، ويقدم لهم مسرحيات مشوقة ذات أهداف واضحة الرؤية والتعبير، حتى تُنقل هذه الرؤية إلى خيال الطفل الواسع، الذي يستوعب أجواء خيالية فنتازية وواقعية واجتماعية وبطولية، لتنمية الروح النبيلة لديه.

1- إشكالية تحديد مصطلح خصوصية مسرح الطفل العربي

ثمة إشكالية حقيقية في تحديد هذا المصطلح؛ إذ أن هناك تباينا في تحديد مفهومه والفئات العمرية التي يوجه لها هذا النوع من الفنون المسرحية، فمسرح الطفل أحد أنواع الفنون المسرحية الموجهة له، الذي يخاطب مختلف الحواس الجمالية ومدركاته بهدف إمتاعه وإثارة وجدانه وحسه الحركي، إلى جانب تربيته وبناء شخصيته عبر تنمية قدراته عقليا، اجتماعيا، نفسيا، عاطفيا، جماليا، لغويا وثقافيا " على أن يرتبط ذلك بالتجسيد المرئي أكثر من ارتباطه باللفظ، فالأطفال يتفاعلون مع الأحداث المرئية في المسرح أكثر من تفاعلهم مع الحوار المسرحي، وهذا يوجب التوازي بين ما يترأى أمام أعين الأطفال وبين ما يتناهى إلى أسماعهم وأن لا يكون الاهتمام بجانب واحد على جانب آخر. وطبيعة المسرح لا تتيح لجمهور الأطفال فرصا لملاحقة المعاني والتعابير، وهذا يقضي أن تخلو لغة المسرح من كل تعقيد أو استطراد أو غموض، وأن تكون معبرة ومركزة." (أبو الحسن (2004) صفحة 41).

فهو إذن من أهم الوسائط الثقافية الإمتاعية لتوصيل القيم والمضامين التربوية والتعليمية والجمالية والأخلاقية، ومن أبرز الاختراعات التي اهتدى إليها العقل البشري في القرن العشرين، فـ "للوهلة الأولى يتضمن مسرح الأطفال - كمصطلح - معنى عاما، شاملا، يمارس على المتأمل فيه حالة من الإيهام - الخداع - شبه المطلق - ومن دون تمحيص شيئا يهم الأطفال من دون غيرهم." (العواني (2013) صفحة 157).

وعند إمعان النظر في المصطلح، نجد أنفسنا أمام مسألة وقضية تتمظهر ضمن قضيتين هامتين " أما القضية الأولى فمبنية على أن مسرح الأطفال هو ما ينتجه الأطفال أنفسهم ويتوجه إلى

جمهور من الأطفال بالقياس إلى الإيحاء المباشر، والشكلي، لهذا المصطلح ... وأما القضية الثانية فمبنية على أن مسرح الأطفال هو ما ينتجه الكبار للأطفال بالتحديد. وهؤلاء الكبار - وهم أصحاب تجارب وخبرات جيدة - كتاب ومخرجون وممثلون ورسامون وراقصون وملحنون ... إلخ". (العواني (2013) صفحة 158).

وقد تناولته منذ أربعينيات القرن الماضي عديد الآراء، عبر الدراسات والكتب والصحف والمجلات الثقافية وغيرها، فضلا عن المعاجم المسرحية بغية تطويره وتكريسه، لما يجعل حقله التنظيري متوافقا ومؤديا لحقله الميداني الذي يخاطب الأطفال ويحاكيهم، على حسب محددات خصائصهم العمرية ولغتهم الخاصة وحاجاتهم ومتطلباتهم، لذا فإن " اللغة السلسلة المعبرة تنفذ إلى ذهن الطفل بيسر دون أن تبعث في نفسه الملل أو الإرهاق أو تجره إلى الشرود الذهني، والحوار الطويل يبدو أمام الأطفال أشبه ما يكون بالواعظ والخطب والمناقشات الباردة التي تلقى على مسامعهم دون أن يستطيعوا احتمالها فتموت الحياة على المسرح ومن ثمة لا يصدقها الطفل " (أبو الحسن (2004) صفحة 41).

إلا أن أغلب ما يطرح اليوم من آراء وتنظيرات بدلا من تحديدها لخصوصية مصطلح مسرح الطفل العربي، أخذت تتشابه وتتداخل وتمتد وتتشعب في تفسيراتها لماهية هذا المصطلح، إلى الحد الذي أفقده الدقة العلمية في التفسير والتعريف، فنحن إلى اليوم نتمسك بتعريف المعاجم التي صارت بالية من عقود مضت؛ إذ لا يوجد هنالك تطوير وتحديث لهذا المصطلح، في ظل وجود كثير من الأنواع المسرحية المستحدثة، إلى جانب مسرح الطفل الذي يعد حديث النشأة مقارنة بباقي الأنواع الجديدة.

إن وجود عديد الأشكال المسرحية المستحدثة تحت مظلة مسرح الطفل، ينسخ خصوصية هذا المصطلح ويجعله متشعبا وغير خاضع للدراسة العلمية الدقيقة، التي تسعى إلى تطويره بالشكل الصحيح، فنجد من بين هذه الأنواع والأشكال المسرحية المسرح المدرسي؛ إذ أن هناك كثيرا من الأدبيات التي تجعل من المسرح المدرسي مسرحا للطفل، الذي يتمتع بخصوصياته على مستوى المنظومة الحركية والأدائية للممثل وعلى مستوى المنظومة البصرية والسمعية، فهو مسرح مكتمل العناصر على المستوى الفني والأدبي والتقني، الذي يرتقي به فيما يقدمه للطفل، ومن أنواع مسرح الطفل أيضا مسرح الدُمى والدراما الخلاقة والمسرح الصفي، وتقرب الدراما الخلاقة من المسرح الصفي في كون هذا الأخير يقوم فيه المعلم بتوجيه التلاميذ داخل الصف بعمل نشاط ترفيهي داخل الصف وحيز الصف وبيئته، فهو يقترب في مفهومه من مصطلح الدراما الخلاقة التي تعتمد على الارتجال، فهي في حد ذاتها نشاط تنفيذي بعيدا عن اشتراطات المسرح المعروفة، إضافة إلى هذا هنالك تشابه في التسميات فمنها ما يطلق عليه بالمسرح التربوي والمسرح التعليمي وغيرها، وهذا التشابه يُلغي لمسرح الطفل حدوده وخصوصياته.

إضافة إلى عدم وجود خصوصية لهذا النوع المسرحي، هناك أيضا تعدد في الآراء حول تصنيف المرحلة العمرية التي يخاطبها مسرح الطفل، فمن خلال عديد أدبيات الاختصاص في فن مسرح الطفل هناك تباين في تحديد هذه الفئات العمرية المستهدفة، وكل هذا يطرح إشكالية كبرى وجدلا واسعا حول خصوصية مصطلح مسرح الطفل العربي بين المختصين والدارسين لهذا الحقل.

وفيما يلي سنورد بعض التعاريف الخاصة بمسرح الطفل العربي من خبراء ومختصين ومنظرين في هذا المجال:

- يقول **عبد الفتاح أبو معال**: "مسرح الطفل جزء من مسرح الكبار ويتصف بصفاته في الغالب، مع فارق في مستوى النص وفي نوعية الممثلين والأهداف والأفكار، يهتم بنصوص مسرحية تعالج أموراً تهم الصغار وتعطي أهدافاً وأفكاراً تتناسب مع مستويات سنهم." (أبو معال (1984) صفحة 29).

- يقول **موسى كولديرغ**: "مسرح الطفل هو المسرح الذي يؤدي إلى تطوير دافعية الطفل نحو التعليم بوصفه نشاطاً ذاتياً يقوم به الطفل والطالب، ينمي الأحاسيس الإيجابية وإدراك سليم عند الطفل بإثارة أحاسيس

كثيرة عنده منها الإعجاب والخوف والشفقة وتغذية مخزونه اللغوي ومشاركته في صنع التخلص من بعض الأمراض النفسية." (كولديرغ (1990) صفحة 18).

- يقول **الهيثي هادي نعمان**: "إن مسرحية الأطفال يمكن لها أن تتوخى أكثر هدف في آن واحد، ولكنها تتركز على هدف معين بشكل يفوق تركيزها على بقية الأهداف، فيسمى هدفها الأول مركزياً للمسرحية، وتصبح الأخرى أهدافاً ثانوية، وفي كلتا الحالتين يضل الهدف الرئيسي متكاملًا وتظل الأهداف الثانوية الأخرى مترابطة لكيلا تكون المسرحية أمام الطفل مفككة ومشوشة" (الهيثي (1986) صفحة 306).

- يقول **أحمد زلط**: معرّفًا مسرح الطفل بأنه "عمل فني مادته الأولى النص التأليفي الموجه للأطفال، والذي يناسب أعمارهم المتدرجة، ومن ثم ينتقل فوق خشبة المسرح إلى عرض درامي مبسط simple Child Drama يقدمه الممثلون وفقاً لتوزيع الأدوار التي يلعبونها، تعضدهم العناصر (المكملات) المسرحية الفنية من ديكور وإضاءة وأزياء وغيرها، بالإضافة إلى رؤية مخرج العرض وتناغم فريق الأداء التمثيلي مع عناصره الفنية". (زلط (1998) صفحة 174، 175).

- تقول **وينفرد وارد**: "أعتقد أن مسرح الأطفال من أعظم الاختراعات في القرن العشرين وأن قيمته التعليمية الكبيرة لا تبدو واضحة أو مفهومة في الوقت الحاضر، سوف تتجلى تقريباً، إنه أقوى معلم للأخلاق وخير دافع إلى سلوك الطيب اهتدت إليه عبقرية الإنسان، لأن دروسه لا تلقن بالكتب بطريقة مرهقة أو في البيت بطريقة مملة." (وارد (1996) صفحة 45).

هذه التعاريف؛ تؤكد أولوية التخصص الذي لا يقتصر على الخبرة المكتسبة من التجربة العلمية وحدها، بل الدراسة العلمية ليس فقط لعناصر العرض المسرحي، ولكن دراسة عوالم الطفل في مختلف نواحيه العمرية والنفسية والجسدية والتربوية والعقلية، وهذا يحيلنا إلى مؤشر مهم هو أن مسرح الطفل هو مسرح احترافي بالدرجة الأولى، لا بد أن تدرس مفاصله بعناية لكي يكون في مستوى جمهوره من المتلقين وهم الأطفال لا الصغار، كما يجب أن "تخلو لغة المسرح من كل تعقيد أو استطراد أو غموض وأن تكون معبرة مركزة، فالحوار الطويل يبدو أمام الأطفال أشبه ما يكون بالمواعظ والخطاب والمناقشات الباردة التي تلقى على مسامعهم دون أن يستطيعوا احتمالها فتموت الحياة على المسرح كما الأطفال يتفاعلون مع الأحداث المرئية في المسرح أكثر من تفاعلهم مع الحوار المسرحي." (الجابري (2002) صفحة 20)، لأن الكاتب لمسرح الأطفال يهدف من خلال ذلك إلى

الارتقاء بمستوى الطفل العربي لا النزول به، فهم ليسوا صغارا بل كبار بمخيلتهم ووعيهم، بتساؤلاتهم وأسئلتهم الوجودية والفلسفية ولهذا فهم جمهور من الأطفال، مما يفرض دراسة تخصصية لكل مفاصل مسرح الطفل بدءا من النص وانتهاء بأراء جمهوره وانطباعاتهم عن العرض وليس انتهاءً بالعرض.

2- دور المسرح في بناء شخصية الطفل العربي ووعيه

يعد مسرح الطفل واحدا من أهم الوسائط والفنون الثقافية في تربيته، بما يتضمنه من معانٍ وقيم فهو فن يجمع بين متغيرات متباينة كالحوار والحركة واللون، مما يساعد في جذب وشد انتباه الطفل إليه، وما يتلقاه من عروض مسرحية من صور وأفكار وسلوكيات تكون أكثر تأثيرا واستمرارية، لأنها تحمل في طياتها المتعة والترفيه، لذلك يمكن اعتبار المسرح من الأنشطة المهمة والملهمة والأساليب الفعالة في إبراز هوية الطفل وصقل موهبته وبلورة شخصيته من كافة الجوانب.

فهو ذلك الكائن الرقيق السهل التشكيل والسهل التأثر بما يدور حوله في بيئته، كما أنه ذو عاطفة قوية حساسة يشعر بالفرح والسعادة، وهذا من أهم مظاهر المسرح الموجه للأطفال، إنه فضولي بامتياز ويرغب بالتعرف على كل شيء وصفة التشويق هذه يجيب عنها المسرح.

تتضمن شخصية الطفل عدة جوانب لغوية واجتماعية وثقافية وحسية،... "وينطوي قاموس الطفل اللغوي على الكلمات التي يعرفها الطفل - عادة - مدلولات كلمات عديدة عندما يسمعا أو يقرأها، ولكنه لا يستخدمها عندما يتحدث أو يكتب، لذا فإن قاموس الطفل يتمثل في جانبين، أولهما في الكلمات التي يعرف معانيها عند الاستماع أو القراءة ويتمثل الثاني في الكلمات التي يستخدمها " (الهييتي (1988) (صفحة 138، 139)، إن لمسرح الطفل أهمية لغوية؛ فالمسرحية المحكية بلغة فصيحة تجعله قادرا على تصحيح الكلمات ونطقها بالشكل الصحيح، وعلى الاستفادة من المفردات الجديدة مما يُغني معجمه ومخزونه اللغوي ووعيه، فيستطيع أن يعبر بجمل واضحة وجمل مترابطة، وهذا ما يزيد من تعلقه باللغة العربية التي يتلقاها الطفل عبر المتعة واللعب فتصبح جذابة وممتعة " لكن قدرة الطفل اللغوية لا تقتصر على حجم كلمات قاموسه اللغوي لأن الكلمات ليست إلا جانبا من الوحدات اللغوية، وعليه فلا بد من أن يحسن الطفل تأليف الجمل والعبارات لتعبر عن الأفكار والمعاني والمشاعر والأشياء تعبيراً صحيحاً، يضاف إلى ذلك تمكن الطفل من فهم ما يسمع أو يقرأ " (الهييتي (1988) (صفحة 139).

يأتي دور المسرح ليقوم بدور هام وهو تحويل المعلومات التي يتلقاها في بيئته ومجتمعه وأمه وأبيه من سلوكيات، فهو لا يرى نصائحا على المسرح، ولكنه يرى سلوكيات وتفاعلات تبين له القيم الأخلاقية عبر فن ممتع، مما يجعل دور المسرح يؤثر في حياة الطفل العربي وسلوكياته، ويسهم في تنمية وعيه بالعالم المحيط به، كما أن للمسرح دورا في تنمية ذكائه من خلال استثارة خياله وتنوع الأفكار وتسلسل الأحداث، وممارسة الألعاب الخيالية التي من شأنها أن تنمي قدرته على التفكير ووعيه بذلك.

إن استخدام المسرح في عروضه لشخصيات الحيوانات الأليفة من شأنه أن يعزز روابط الألفة بينه وبين هذه الحيوانات، خصوصا وأن بعض الأطفال الصغار يعانون خوفا ويواجهون فوبيا تجاه هذه الحيوانات، وأن أهم ما يقدمه مسرح الطفل هو المتعة واللعب والترفيه والأجواء الحماسية الإيجابية،

التي تطغى على العرض الذي يسهم بدوره في تخفيف التوتر النفسي لدى الطفل، كذلك يُنَاط به إثارة عواطفه ومشاعره وتنمية الأحاسيس الفياضة لديه، ويمكنه من اختبار مشاعر جديدة لم يختبرها من قبل؛ كالإحساس بشعور البطولة والإحساس بشعور الفوز وانتصار الخير والحق ... مما يزيد من صقل وتهذيب شخصيته وتعليمها السلوكيات الأخلاقية الإيجابية والتمييز بينها وبين السلوكيات غير المرغوبة، عبر مواقف متباينة؛ منها ما يتطلب الشجاعة ومنها ما يتطلب الحذر، وتعلمه سلوكيات مختلفة كسلوك الصداقة عبر سلوكياتها كمسك الأيدي وتبادل العناق،... كل هذا من شأنه أن يدرب الطفل على الحياة ومواقفها ويكسبه وعيا كافيا بذلك.

ولأن مسرح الطفل يناقش قضايا متنوعة، فإنه يدرب على التمرس في الحياة من خلال إيجاد حلول لمشاكل قد يصادفها، مما يساعده ذلك على ابتكار حلول جديدة عندما يتورط في مشكلة ما، ويجعله يحسن التصرف في مواقف أخرى.

كما أن للمسرح دورا في تنمية ثقافة الطفل؛ مثل المعارف والمعلومات الجديدة في مجالات مختلفة كالآداب والتاريخ والجغرافيا والعلوم والتجارب العلمية والفنون المختلفة، فيزيد من معرفته ويطورها ويتعدى تأثير المسرح الإيجابي على الطفل إلى نقطة مهمة هي الجانب الاجتماعي، فالطفل عادة ما يذهب إلى المسرح مع أهله وأقربائه ورفاقه وهو ما يوطد العلاقة بينهم، كونهم يشتركون في اهتمامات متشابهة، مما يساعد المسرح على نمو الذات الفردية والاجتماعية لدى الطفل، كما أنه قمين بنا أن نشير إلى الفوائد الجمالية والحسية لهذا النوع من المسرح، وهي قدرته على دمج الحاسة السمعية والبصرية وتفاعلهما مع بعض مما يزيد على تأثيره على الطفل، ثم الفوائد الجمالية المتمثلة في الموسيقى والغناء والرقص الذي يحي الذوق الجمالي لديه، ويزيد من ذلك جمال الديكور والمكان والإضاءات المختلفة.

وكيما يؤثر المسرح على الطفل تأثيرا فعليا، يجب مراعاة المراحل العمرية لديه والتي اتفق عليها خبراء المسرح كالآتي:

2-1- مرحلة الواقعية والخيال المحدود

تقع هذه المرحلة بين 3 إلى 5 سنوات، وتتميز مسرحيات هذه المرحلة بكون الحركات التعبيرية حرة ولغة الحوار بسيطة وسهلة، وأن يكون الديكور بسيطا سهل التبديل والحركة " وتكون مشاركة الطفل في هذه المرحلة السنية لا حدود حركية ثابتة له، وقد يمل الجلوس على الكرسي، فيشارك في العرض من تلقاء نفسه، وربما يصعد على الخشبة لمشاركة الممثلين في العرض، إذا لم يتم تنظيم ذلك بطريقة فنية صحيحة " (السماعيل، صفحة 46)، ويكون هناك تفاعل من قبل الممثلين مع الأطفال بطرح أسئلة، وتراعى في هذه المرحلة أن تكون المسرحية قصيرة حتى لا يمل منها.

2-2- مرحلة الخيال الحر والمنطلق

وتتمد من 6 إلى 9 سنوات؛ حيث يتسع خيال الطفل في هذه المرحلة ويتطلع إلى الأبطال الخارقة والأساطير، لذلك يجب أن تتضمن هذه المسرحيات عوالم الأبطال وتعتمد على لغة حوارية سهلة ومعبرة، وتشمل على:

" - الاستعانة بالحكايات الشعبية والقصص من البيئة والتراث الشعبي الشيقية، ذات البداية والوسط والنهاية في أحداثها.

- تضمين بعض النصائح المفيدة، والتأكيد على القيم والأخلاقيات الاجتماعية والإنسانية بطريقة غير مباشرة مثل: قيمة الخير، التسامح، حقوق الجار، النظافة، العدالة، الشجاعة، حقوق الأب والأم، الأخ أو الأخت.. أو القيم العملية مثل: الإخلاص في العمل، التعاون مع الآخرين، الوفاء، الفطنة، الذكاء، إلخ.
- أن تعتمد المسرحية على لغة حوارية سهلة الفهم ومعبرة دراميا.
- التأكيد على حب الوطن والانتماء له.
- أن تكون مشاركة الطفل في المسرحية عنصرا أساسيا ومنظما داخل العرض منذ البداية.
- الاهتمام بسلاسة ووضوح الحدث الدرامي.
- إبراز الديكور لإبراز موقع الحدث وتفاصيله بعناية.
- استخدام العناصر الفنية المختلفة بعناية مثل: الملابس، الإكسسوارات، المؤثرات الصوتية.
- استخدام الأغاني ذات الكلمات والألحان الطفولية البسيطة والمعبرة عن أحداث المسرحية، وكذلك الرقصات والحركات الجماعية سهلة الانضباط.
- أن يكون زمن المسرحية مناسباً، وغير ممل حفاظاً على إيقاع العمل وتشويقهم." (السماعيل، صفحة 47، 48)، ويتم التأكيد فيها على القيم والأخلاق الاجتماعية، كما يجب إبراز الديكور والاهتمام بسلاسة تطور الحدث الدرامي ووضوحه، واستخدام العناصر الصوتية والفنية والأغاني والرقصات الجماعية السهلة.

2-3- مرحلة البطولة والخيال الواقعي

وتمتد من 9 إلى 12 سنة؛ حيث يصبح تفكير الطفل أكثر نضجا ويكون متعطشا للمعرفة، وهذا من أهم سمات المسرحية:

- " - تمثل أحداث المسرحية روح المغامرة والشجاعة الإنسانية الإيجابية.
- أن يكون النص المسرحي متفوقا في حبكة الدرامية، ومنطقيا في تسلسل أفكاره وأحداثه.
- أن يكون عنوان المسرحية جذابا ومثيرا للطفل.
- أن تهتم المسرحية في مضمونها بقضايا مثل: البيئة، الخيال العلمي، ظروف المجتمع التي يعيش فيها الطفل وتمس جوانب كثيرة من حياته، التعليم والصحة.
- التأكيد على الوطنية، والقيم الإنسانية والتربوية التي تهتم المجتمع والإنسان والعالم.
- احترام ذكائه، وثقته الكبيرة بنفسه في هذه المرحلة، وهو ما يعني عدم المباشرة معه في طريقة الإرشاد، أو التوجيه، وتركه ليكتشف المضامين، والأهداف المسرحية بنفسه، فهو قادر على فرز وتمييز الأحداث والصور والجمال الكلامية، وحتى نقدها بشكل إيجابي ومذهل أحيانا.
- أن يكون الديكور المسرحي أقرب إلى الواقعية، ومنفذا بعناية ليكون مثيرا ومميزا يشد الانتباه.
- الاستعانة بالملابس والإكسسوارات الملائمة؛ لتحقيق حالة منسجمة مع القصة المسرحية في الواقع.

استخدام المؤثرات الفنية المختلفة (الصوت والإنارة)، والأغاني لخلق المتعة والإثارة اللازمين للمسرحية.

ليس مهما مشاركة الطفل في هذا العرض المسرحي، وإذا حدث يجب أن تتم بطريقة مدروسة ومنظمة بعناية. " (السماعيل، صفحة 49، 50)، التي تقدم للطفل متمثلة في روح المغامرة والشجاعة والإنسانية، وتسلسل الأحداث فيها يكون شيقا وعدم إعطائه إرشادات ونصائح، بل تضمين ذلك في المسرحية ليكتشفها بنفسه ويكون الديكور أقرب إلى الواقعية.

3- مسرح الطفل العربي وآفاقه في تنمية الوعي والقدرات العقلية

نروم من خلال هذا العنصر إلى محاولة تحديد واقع مسرح الطفل العربي وآفاقه المستقبلية، أو بعبارة أخرى إلى ما وصل واقع هذا المسرح، هل سيكون هناك مستجدات أو حلول أو تقنيات أو وسائل حديثة لجعل مسرح الطفل العربي مسرحا يلبي طلبات هذا الطفل من الناحية النفسية والعقلية وتنمية وعيه ومدركاته؟

إن مسرح الطفل العربي مسرح حديث، عرف في حضارتنا العربية منذ القدم على شكل ألعاب مسرحية يتم فيها تشخيص أدوار بسيطة للتسلية والمرح، وحظي في العصر الحديث بمكانة واهتمام كبيرين؛ إذ ظهرت شخصيات مهمة بمسرح الطفل هدفها بناء شخصية الطفل جسديا ونفسيا وعقليا.

3-1- واقع مسرح الطفل العربي

إن المسرح بصفة عامة هو فن من الفنون الجميلة، الذي يختلف عن باقي النصوص السردية الفنية والأدبية كالحقبة والرواية في عناصره وخصائصه وأهدافه، ويكمن هذا الاختلاف في تجسيد الوقائع والأحداث على خشبة المسرح بالحركات والإيماءات والأضواء، وللتأثير على المتلقي والجمهور بهدف التفاعل وفهم الحدث ومغزاه، ولابد من البدء بشروط مراعاة الطفل نفسيا وعقليا، فإذا كان مسرح الكبار والشباب له أهميته وأهدافه، فإن لمسرح الأطفال كبير أهمية أيضا، لأن الطفل له قدرات عقلية فائقة في استيعاب الأشياء وتصورها، لذا فعلى تدريب الأطفال أولا على المسرح كيما يتمكنوا من تشغيل خيالهم وتوسيعه واستخدام الأفكار وتطبيقها وطريقة تشخيص الواقع بأسلوب رمزي وحركي، تسهم في تنمية شخصيتهم وزرع الثقة في النفس والحوار والتفاعل مع الآخر، لدفع الخجل والخوف الذي قد يعاني منه الطفل داخل المؤسسات التعليمية، ثم قدرته على التمكن من استيعاب الوقائع الاجتماعية والظروف التي قد تحيط به، ذلك " أن قصص الأطفال ليست تبسيطا أو مسحا لقصص الكبار، إنها فن قائم بذاته، إن عالم الطفولة قائم بذاته له قوانينه الخاصة التي تحكم العلاقة بين الطفل والقائمين من حوله والأشياء المحيطة به وله طريقته في تصور الأمور، وحدوده في التصديق والتكذيب وقدراته في التخيل، إنه عالم خاص ولهذا يحتاج إلى دراية خاصة وخبرة طويلة بالطفولة عند الكتابة للطفل.. " (عبد الله (2001)، صفحة 78)، وقد استطاع مسرح الطفل في الوطن العربي أن يوظف مجموعة من المسرحيات التربوية والتعليمية والترفيهية في المدارس والمراكز الثقافية، وحقق ذلك قفزة نوعية في ترسيخ القيم الاجتماعية والأخلاقية الواعية، لكن لم تصل إلى درجة تدريب طفل على التفكير الحر لإنتاج النصوص المسرحية، ذات أبعاد فكرية وإبداعية رغم توفر المؤهلات والمجهودات المبذولة في سبيل تنمية القدرات العقلية للطفل، والسبب في ذلك عدم وصول مسرح الطفل إلى مرتبة في التطور والإبداع الخلاق؛ فهو الأرضية الاجتماعية والثقافية الضيقة التي لا تمكنه من توسيع مداركه، وكذلك الاقتصار على المسرحيات الترفيهية البسيطة التي غايتها تغيير مزاج الطفل من حالته السلبية إلى حالته الإيجابية، فمسرح الطفل " هو ذلك المسرح الذي

يخدم الطفولة سواء قام بها الكبار أو الصغار مادام الهدف هو إمتاع الطفل والترفيه عنه وإثارة معارفه وخبراته وحسه الحركي. أو أن يقصد به تشخيص الطفل لأدوار تمثيلية أو لعبية، ومواقف درامية للتواصل مع الكبار أو الصغار، وبهذا يكون مسرح الطفل مختلطاً بين الكبار والصغار. ويعني هذا أن الكبار يؤلفون ويخرجون للصغار ما داموا يمتلكون مهارات التنشيط والإخراج وتقنيات إدارة الخشبة، أما الصغار فيمثلون ويعبرون باللغة والحركة ويجسدون الشخصيات، وقد يقوم به الطفل تمثيلاً وإخراجاً وتأليفاً ما دام الكبار يقومون بعملية (التأطير) للعمل. فمسرح الطفل يعتمد تارة على التقليد والمحاكاة، وتارة أخرى على الإبداع الفني والإنتاج الجمالي. " (مودنان (2015) صفحة 8)، لكن يجب أن يتعود الطفل على الخيال والإبداع خاصة وأنه يمتلك طاقات هائلة تمكنه من اكتشاف خبايا الحياة؛ حيث تجده يستخدم أسئلة كثيرة لا تخطر بالبال من أجل المعرفة والاكتشاف، فالمسرح هو الوسيلة الأساسية لجعل الطفل يستخدم ذكائه في توليد الأفكار وتطبيقها.

لذا يقول **عبد العزيز بن عبد الرحمن السماعيل** في كتابه "مسرح الطفل لعبة الخيال والتعلم الخلاق": "لذلك من المهم أن يلعب المسرح دوراً مهماً في تنمية ذكاء الطفل والعناية باختلال قدراته الذهنية، من خلال اختياراته بعناية للأفكار، والمواضيع المناسبة التي يقدمها المسرح، وتساهم في تنمية ذكائه وتحفيزه على التفكير السليم" (السماعيل (صفحة 39)، من هذا المنطلق يجب أولاً مراعاة قدرات الطفل الإبداعية في مراحل الطفولة؛ إذ لكل طفل ميولاته ورغباته، وفي سياق حديثنا عن مسرح الطفل فليس المقصود بذلك تلقي الطفل للنص أو العرض المسرحي والتصورات الممكنة وما يبنى عن ذلك من أفكار أو معلومات فحسب، بل قصدنا الأهم هو تنمية قدرات الطفل لإنتاج النص المسرحي، فبمقدوره استعمال كل الوسائل من مصطلحات وتصورات وأفكار تجعله يشعر بقوة شخصيته وأهميته في بناء المجتمع " فالطفل في سنيته الأولى قد لا يكون لديه تفهم كامل واضح للزمان، وإن كان إدراكه للمكان قد يكون أوضح من الزمان، ولهذا نرى رواة قصص الأطفال يقولون: كان يا مكان ... وفي سالف العصر والأوان ... ما يحلو الكلام إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام، وهو تعبير يعني الماضي دون تحديد دقيق لهوية ذلك الماضي، ولكن الطفل يستطيع أن يميز الليل والنهار، ثم يتدرج ويعرف أمس وغدا، ويظل يصعد سلم التدرج حتى يلم بأيام الأسبوع. " (سيد حلاوة (2000) صفحة 45)، وقد حظي مسرح الطفل باهتمام كبير في عديد البلدان العربية؛ كسوريا ومصر والمغرب وتونس ولبنان... ولكن بأنماط وأشكال مختلفة ونسبة الإبداع والإنتاج فيه ضئيلة، بالمقارنة مع الانتاجات الإبداعية الأخرى كالقصة والشعر والرواية.

كما أن هناك أسباباً عديدة لهذا الموقف منها صعوبة تأليف النص المسرحي للأطفال؛ إذ يتطلب شروطاً ومعايير معينة تراعي شخصية الطفل النفسية والفكرية والاجتماعية، ففي مصر عرف الكاتب المسرحي المصري كامل الكيلاني بأدب الطفل ومن أهم أعماله المسرحية الموجهة للأطفال: حكايات وأغاني، وعرائس الأطفال، الفارس، شهریار، ...

ونشأ مسرح الطفل في المغرب بالخصوص بسبب الأحداث الاجتماعية والسياسية، ومرد ذلك إلى عامل الاستعمار الإسباني والفرنسي وحصول المغرب على الاستقلال، فأتخذ مسرح الطفل في هذه الفترة طابعاً وطنياً واجتماعياً وتراثياً، وبعد الاستقلال مباشرة اتخذ مسارا تربوياً يرتبط بالمؤسسات التعليمية أو ما

يسمى بالمسرح التربوي، ونظمت وزارة الثقافة عدة مهرجانات خاصة بمسرح الطفل بعدة مدن مغربية منها: الجديدة، تطوان، الرباط، مراكش، على شكل مهرجانات ثقافية متنوعة، ومن المؤلفين المغاربة لهذا المسرح نجد: العربي بن جلول، عبد الجليل أوحيدة، محمد سعيد سوسان، ومنهم من اهتم بمجال النقد والتنظير للمسرح المدرسي.

رغم من القفزة النوعية التي عرفها مسرح الطفل العربي من حيث إنتاج النص وعرضه إلا أنه مازال محدودا في المجال المدرسي التربوي ولما يصل بعد إلى مستوى مسرح الكبار، وذلك راجع للافتقار إلى المراجع التطبيقية المنفتحة على المناهج النفسية والاجتماعية والعلمية، لإدراك شخصية الطفل والسير بها إلى عالم التفكير والخيال الواسع والارتقاء به إلى طفل واع.

3-2- مسرح الطفل العربي، نحو آفاق مستقبلية

يعد المجتمع عنصرا من عناصر بناء شخصية الطفل، وكل مجتمع له خصائصه وسماته وثقافته التي تؤثر في تفكيره، فالمجتمع العربي مرتبط بالأساس بالتراث من حيث اللغة والتقاليد والحكايات الشعبية التي لها دورها في بناء شخصية الطفل العربي، وتمتزج العادات والتقاليد في المجتمعات العربية باللغة، وإن كانت اللغة العربية الفصحى هي لغة المدرسة، فإن هناك اللغة الدارجة العامية واللهجات المختلفة، فيجد نفسه أمام لغتين في مجتمع الواحد، خاصة وأن مسرح الطفل العربي يؤدي باللغة الفصحى، ما يشكل إشكالا حقيقيا بالنسبة له وهي المستخدمة في النصوص المسرحية الاحتفالية بالمناسبات الدينية والوطنية، إضافة إلى مسرحيات ذات طابع اجتماعي وأخلاقي وتربوي، لذا فإن آفاقه المستقبلية رهينة بمدى إتقان لغة المسرح وفهم معناها وطريقة توظيفها باستخدام الخيال الذي يتجاوز فيه الواقع المادي إلى واقع المثل، قصد البحث عن حلول وبدائل لتجاوز المشاكل وجعل الطفل العربي يشارك في بناء قيم المجتمع وتوعيته، بالأهداف المتوخاة من المسرح الذي يقصد منه تدريب الأطفال على التلقي والإنتاج من خلال ما يسمى بالمسرح الإبداعي، وهو مسرح يتمكن من خلاله الطفل من امتلاك القدرة على تحليل سيميائية النص المسرحي كالعلامة والصورة والأضواء وعلامات المصطلح الموظفة والحركات والإيماءات وخاصة في مسرح الطفل الدرامي، وفي حياة الأطفال تبدأ الدراما باللعب وهي نوع من المسرح وهو من جانب استرضاء لتهديدات عالم الكبار، ومن جانب آخر تكمص شخصيات مهمة قد يمثلونها بكل براءة وقوة.

إضافة إلى ذلك، يمكن اعتبار دراما الطفل فنا تمثيلا يتم باللعب عند الأطفال لتمثيل شخصيات أعجبوا بها وحكايات شعبية أو قصص قديمة نالت إعجابهم، فيقوم المدرس بتدريبهم عليها لتجسيد شخصية واكتشاف مواهب إبداعية تسهم في نمو شخصيتهم وتعزيز الثقة بأنفسهم وبقدراتهم العقلية في تصوير المشهد وتحديد أبعاده الدلالية بأشكال ممتعة ومؤثرة في المتلقي، لذا فإن مسرح الطفل أكثر أهمية وفاعلية وتأثيرا من مسرح الكبار.

فابن اليوم هو رجل الغد، لأن عامل البراءة والعفوية يبعد الطفل عن التصنع ويمثل الشخصية أو المشهد بكل صدق وواقعية، لذا فالواجب علينا الاهتمام بهذا المسرح والبحث عن السبل الكفيلة بنجاحه وتطويره ويجب ألا ينظر إليه على أنه عامل ترفيهي وفني فحسب، ولكن يجب البحث عن المؤهلات والقدرات الشخصية والوسائل الممكنة للسير به في اتجاه جديد، يفتح المجال للطفل العربي للمشاركة في الإبداع واستيعاب الوقائع والوعي بها وإبداع مشاهد خارقة تكشف قدرته على الخيال البعيد، ولكن هذا الأفق لن يتحقق إلا بتضافر كل الجهات المختصة بالعناية به والمهتمة بتطوير مسرحه.

وقد استطاع العالم العربي أن يرسخ أهمية مسرح الطفل في المدارس والمراكز الثقافية، والقيام بمسابقات مسرحية على المستوى الإقليمي والوطني بتشجيع الأطفال وتحفيزهم للاهتمام بالإبداع المسرحي في التمثيل، فما دام مسرح الطفل العربي مكتنزا بالخيال والإبداع " فإن الخيال يتيح للأطفال أن يتصوروا عوالم غير التي يحيونها، ويدركوا ما لا يمكن إدراكه عن طريق الحواس، ويشكل في الوقت نفسه عاملا للاستمتاع بالآداب والفنون وأنماط السلوك، ولهذا فإن المصادر الاتصالية تحاول تهيئة أذهان الأطفال للتخيل، من أجل أن يفهم الأطفال المعاني والعلامات والمعلومات، ومن أجل أن يستمتعوا في نفسه الوقت بصور الخيال المشوقة." (الهيبي (1988) صفحة 78)، وبالتالي فإن أفقه المستقبلي سيكون ناجحا وهادفا، لكن لتحقيق ذلك يتطلب البحث عن منهج علمي، إضافة إلى المناهج النفسية والاجتماعية والتربوية واستشارة علماء النفس والاجتماع والتربية لفهم شخصية الطفل ورغباته وقدراته واختيار النصوص المسرحية الهادفة والمساهمة في تنمية قدراته العقلية، مع مراعاة المراحل العمرية لكل طفل ومؤهلاته الجسدية والنفسية والعقلية.

خاتمة

مكننا البحث في موضوع " خصوصية مسرح الطفل العربي (نحو طفولة واعية) "، من جمع عصاره فكرية، يمكننا تقديمها في النتائج الآتية:

1- منح خصوصية لمسرح الطفل العربي بوصفه مستقلا بذاته على مستوى المنظومة الفنية، وتحديد الفئات العمرية التي يخاطبها وفقا لخصائص نمو جمهوره التي تتحدد من السادسة إلى الثانية عشر سنة.

2- إيلاء خصوصية للأنواع المسرحية الأخرى، كمسرح الدُمى والمسرح المدرسي وغير المسرحية أو البعيدة عن اشتراطات المسرح ومنها الدراما الخلاقة أو المسرح الصفي.

3- توحيد المصطلحات من قبل الخبراء المتخصصين في هذا المجال، ومنها المسرح التربوي والمسرح التعليمي أو مسرح المناهج أو غيرها من المصطلحات التي يمكنها أن تتداخل مع مصطلح مسرح الطفل، والاهتمام بمصطلحات المسرح المناسبة للمراحل العمرية للطفل العربي وزيادة منسوب الوعي بها.

4- شحذ روح الثقة بالنفس والريادة لدى الطفل العربي في تعامله مع العروض المقدمة، وضرورة أن تمتزج هذه الأعمال بعمليات المشكلات الاجتماعية وتقديم الحلول المناسبة من خلال هذه الأعمال التي من شأنها أن تسهم في تنمية الوعي بالمشكلة وإيجاد الحلول لذلك.

5- لمسرح الطفل العربي إمكانيات عديدة في الإنتاج والإبداع، لكنه بحاجة إلى أرضية ثقافية واجتماعية خصبة تشترك في بنائها تضافر جهود الباحثين والمتخصصين في مجال التربية والثقافة والمسرح.

6- الاهتمام بمسرح الطفل العربي اهتماما أوليا لا يقتصر على المؤسسات التعليمية فحسب، بل يعمم في جميع المؤسسات المهمة بأدب الطفل، ومستقبل مسرح الطفل العربي مرتبط بمنهج ناجح في تطوير قدراته الفكرية وتشجيعه على الإبداع، وإتاحته الفرصة لاستخدام أدواته النقدية الخاصة لبناء شخصيته وتعزيز الثقة بالنفس.

7- ضرورة مواكبة مسرح الطفل العربي لتطورات العصر، مع مراعاة القيم الأخلاقية والتربوية لخلق التوازن النفسية، وتزويده بطاقة هائلة من الوعي بضرورة تطوير شخصيته والعمل على شحذ همته.

8- يقوم مسرح الطفل بدور كبير في تربية النشء وتعليمه وتحفيز طاقاته الإبداعية، وتدعيم القيم الايجابية لديه.

قائمة المراجع

- 1- أبو الحسن، سلام (2004)، مسرح الطفل (النظرية - مصادر الثقافة - فنون النص - فنون العرض)، ط1، الإسكندرية، مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- 2- أبو معال، عبد الفتاح (1984)، مسرح الأطفال، ط1، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- 3- الجابري، حمدي (2002)، مسرح الطفل في الوطن العربي، ط2، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 4- السماعيل، عبد العزيز بن عبد الرحمن، (1991)، مسرح الطفل لعبة الخيال والتعلم الخلاق (بحث في الخصوصية والسمات العامة لمسرح الطفل والمسرح المدرسي)، كتاب المجلة العربي.
- 5- العواني، محمد بري (2013)، دراسات في أدب ومسرح الطفل، دمشق، سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- 6- الهيتي، هادي نعمان (1986)، أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائله)، مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 7- الهيتي، هادي نعمان (1988)، ثقافة الأطفال، ط3، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مطابع الرسالة.
- 8- زلط، أحمد (1998)، أدب الطفل العربي (دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل)، ط2، القاهرة، مصر، دار هبة النيل للنشر والتوزيع.
- 9- سيد حلاوة، محمد (2000)، الأدب القصصي للطفل (مضمون اجتماعي نفسي)، الإسكندرية، مصر، مؤسسة حورس الدولية.
- 10- عبد الله، محمد حسن (2001)، قصص الأطفال ومسرحهم، ط1، القاهرة، مصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- 11- كولدرغ، موسى (1990)، مسرح الأطفال، تر: صفاء روماني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا.
- 12- مودنان، مروان (2015)، مسرح الطفل من النص إلى العرض (دراسة)، ط1، الدار البيضاء، المغرب، مطبعة النيل.
- 13- وارد، وينفرد (1996)، مسرح الأطفال، تر: محمد شاهين الجوهري، كامل يوسف، ط1، مصر، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة.